

روح المعاني

والبستاني منه لا يخفى نفعه والبري يستظل به أبناء السبيل ويأمنون به ولهم فيه منافع أخرى ويستأنس لعلو شأنه بما أخرجه أبو داؤد في سننه والضياء في المختارة عن عبد الله بن حبشي قال : قال رسول الله ﷺ من قطع سدره صوب الله رأسه في النار وبما أخرجه البيهقي عن أبي جعفر قال : قال رسول الله ﷺ لعلني كرم الله تعالى وجهه في مرض موته : أخرج يا علي فقل عن الله ﷻ لا عن رسول الله ﷺ لعن الله ﷻ من يقطع السدر وفي معناهما عدة أخبار لها عدة طرق والكل فيما أرى محمول على ما إذا كان القطع عبثاً ولو كان السدر في ملكه .

وقيل في ذلك مخصوص بسدر المدينة وإنما نهى عن قطعه ليكون إنسا وظلا لمن يهاجر إليها وقيل بسدر الفلاة ليستظل به أبناء السبيل والحيوان وقيل بسدر مكة لأنها حرم وقيل بما إذا كان في ملك الغير وكان القطع بغير حق والكل كما ترى وأياما كان ففي التنصيص عليه ما يشير إلى أن له شأنًا فلما ذكر سبحانه ما آل إليه حال أولئك المعرضين وما بدلوا بجنتيهم أتى جل وعلا بما يتضمن الإيذان بحقارة ما عوضوا به وهو مما له شأن عند العرب أعني السدر وقلته والإيذان بالقلّة ظاهر وأما الإيذان بالحقارة فمن ذكر شيء والعدول عن أن يقال وسدر قليل مع أنه الأخضر الأوفى بما قبله ففيه إشارة إلى غاية إنعكاس الحال حيث أوماً الكلام إلى أنهم لم يؤتوا بعد إذهاب جنتيهم شيئاً مما لجنسه شأن عند العرب إلا السدر وما أوتوه من هذا الجنس حقير قليل وتسمية البديل جنتين مع أنه ما سمعت للمشكلة والتهكم ذلك إشارة إلى ما ذكر من التبديل وما فيه من معنى البعد للإشارة إلى بعد رتبته في الفطاعة أو إلى مصدر قوله تعالى : .

جزيانهم كما قيل في قوله سبحانه وكذلك جعلناكم أمة وسطا ومحله على الأول النصب على أنه مفعول ثان وعلى الثاني النصب على أنه مصدر مؤكد للفعل المذكور والتقديم للتعظيم والتهويل وقيل للتخصيص أي ذلك التبديل جزيانهم لا غيره أو ذلك الجزاء الفطيع جزيانهم لا جزاء آخر بما كفروا بسبب كفرانهم النعمة حيث نزعناها منهم ووضعنا مكانها ضدها وقيل بسبب كفرهم بالرسالة الثلاث عشرة الذين بعثوا إليهم وأستشكل هذا مع القول بأن السيل العرم كان زمن الفترة بأن الجمهور قالوا لا نبي بين نبينا وعيسى عليهما الصلاة والسلام ومن الناس من قال : بينهما أربعة أنبياء ثلاثة من بني إسرائيل وواحد من العرب وهو خالد العبيسي وهو قد بعث لقومه وبني إسرائيل لم يبعثوا للعرب وأجيب بأن ما كان زمن الفترة هو السيل العرم لا غير والرسالة الثلاثة عشر هم جملة من كان في قومهم من سبأ بن يشجب إلى أن أهلكهم الله ﷻ تعالى أجمعين فتأمل ولا تغفل .

وهل ناجزي إلا الكفور أي ما ناجزي مثل هذا الجزاء الشديد المستأصل إلا المبالغ في الكفران أو الكفر فلا يتوجه على الحصر إشكال أن المؤمن قد يعاقب في العاجل وفي الكشف لا يراد أن المؤمن أيضا يعاقب فإنه ليس بعقاب على الحقيقة بل تمحيص ولأنه أريد المعاقبة بجميع ما يفعله من السوء ولا كذلك للمؤمن ولا مانع من أن يكون الجزاء عاما في كل مكافآت وأريد به المعاقبة مطلقا من غير تقييد بما سبق لقرينة جزيئناهم بما كفروا لتعيين المعاقبة فيه بل قال الزمخشري : هو الوجه الصحيح وذلك لعدم الإضرار ولأن التذليل هكذا أكد وأسد موقعا ولا يتوجه الأشكال لما في الكشف وقرأ الجمهور يجازي بضم الياء وفتح الزاي مبنيا للمفعول الكفور بالرفع على النيابة عن الفاعل وقرئ يجازي بضم الياء وكسر الزاي مبنيا